الاستعارة التصورية في الخطاب التعليمي الباديسي ـ قراءة عرفانية ـ

Conceptual Metaphor in Badissi Educational Discourse - A Cognitive Reading -

د.سارة بوفامة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

boufamasara@gmail.com

ملخص البحث:

إننا في حاجة إلى هذه القراءة العرفانية للخطاب التعليمي الباديسي ندرك بها فهمهم للواقع الجزائري الذي يعيش حالة من الضعف والمهانة مع أنه مجتمع مسلم والإسلام دين قوة وعزة ثم سعيهم في تغييره نحو الرؤية القرآنية للعالم ، فكان منهجهم الأول في التغيير هو التعليم، ولذلك نحاول الإجابة وفق هذه القراءة العرفانية عن مجموعة من التساؤلات تتمحور حول البنى التصورية المنتجة للخطاب التعليمي الباديسي الذي كانت له فاعلية في تغيير رؤية المجتمع الجزائري للعالم وتوجيهه نحو تبني الرؤية القرآنية.

الكلمات المفتاحية: الخطاب التعليمي الباديسي، العرفانية، الاستعارة التصورية ، لايكوف

Abstract

We need this cognitive reading of the Badissi educational discourse through which we will be able to comprehend their understanding of the Algerian reality, which lives in a state of weakness and humiliation, even if it is a Muslim society and Islam is a religion of strength and pride and their efforts for a change towards the Quranic worldview. Their first approach to change was education, and this is why we try to respond in accordance with this cognitive reading of a set of inquiries centered on the conceptual structures produced by the Badissi educational discourse, which was able to change the vision of world of Algerian society and direct it towards the adoption of the Quranic vision.

Keywords: Badissi educational discourse, Cognition, Conceptual metaphor, Lakoff.

مقدمة:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى قراءة الخطاب التعليمي الباديسي في ضوء اللسانيات العرفانية والتي تشكل الاستعارة التصورية واحدا من أهم محاورها،فهي تمثل في المفهوم العرفاني رؤيتنا للعالم، وطريقة تفكيرنا فيه. و يرجع ذلك إلى كونها جزءا من البنية التصورية للإنسان، فمن خلالها يدرك العالم، ويتفاعل معه فتتجاوز الاستعارة بهذا المفهوم خصيصة الزينة أو زخرفة الكلام لتكون أداة أساسية لفهم العالم والتفكير فيه والتحدث عنه، فقد أخرجها كل من لايكوف وجونسن من هذا القالب الشكلي لتحتل مكانة مركزية في إدراك المعنى وفهم الإنسان لنفسه وتمثله الوجود من حوله، وبناء أنساقه الرمزية والدينية والفنية والاجتماعية وغيرها، بل ومركزيتها في التفكير البشري، فهي ليست موضوعا للتفكير فحسب بل هي أداته وآلته، وهذا ما جعلها تلعب دورا أساسا في بناء الخطابات الثقافية المختلفة التي ينتجها الإنسان.

واللغة لا تنفصل في المفهوم العرفاني عن الخبرة الإنسانية التي تشكلها التجربة والتي تؤثر في الطريقة التي ندرك بها الأشياء ونصوغ بها مفاهيمنا المختلفة. والتعبير عن الأشياء والمفاهيم بعد لغوي، يتأثر، بلا شك، بكيفية إدراكها. فاللغة ليست مستقلة أو مغلقة على ذاتها ولا يمكن وصف نظامها الداخلي وصوغ قواعده وقوانينه بمعزل من البنية التصورية أو المعرفية التي تؤسس لمبادئ عامة في الخبرة البشرية تؤثر مباشرة في بنية المبادئ اللغوية المختلفة.

إننا في حاجة إلى هذه القراءة العرفانية للخطاب التعليمي الباديسي ندرك بها فهمهم للواقع الجزائري الذي يعيش حالة من الضعف والمهانة مع أنه مجتمع مسلم والإسلام دين قوة وعزة ثم سعيهم في تغييره نحو الرؤية القرآنية للعالم ، فكان منهجهم الأول في التغيير هو

التعليم، ولذلك نحاول الإجابة وفق هذه القراءة العرفانية عن مجموعة من التساؤلات تتمحور حول البنى التصورية المنتجة للخطاب التعليمي الباديسي الذي كانت له فاعلية في تغيير رؤية المجتمع الجزائري للعالم وتوجيهه نحو تبني الرؤية القرآنية. فتمركزت الإشكالية البحث حول هذا الرابط الذي يجمع الاستعارة التصورية بالخطاب التعليمي الباديسي. والبحث في كيفية بنينة العالم في أذهانهم.

وقد عنونت المداخلة :"الخطاب التعليمي الباديسي" لا الخطاب التعليمي لدى ابن باديس أو غيره من علماء الجمعية ،وهو مقصود جدا، تخير نسبة بدلا عن الإضافة لأن الدراسة تشتغل على رؤية كلية شاملة اجتمع عليها رجال الإصلاح في الجزائر في تلك الحقبة ،وليست رؤية خاصة بابن باديس وحده ، ولهذا وجدت أنها تستحق هذه التسمية أو بالأحرى الاصطلاح للدلالة على منهج تعليمي عام يشكل تصور علماء الجمعية ومنطلقاتهم ومنهجهم وأهدافهم وغاياتهم،ويؤسس لنسق تصوري عام تم في ضوئه تشكيل هذا الخطاب وإنتاجه.

ولهذا كانت عينة الدراسة تمتد لتشمل خطابات علماء الجمعية والوقوف عند الاستعارات المبنينة له،مما يفصح عن تصوراتهم والوقوف عند رؤيتهم للعالم.

أولا: الإطار المفاهيم لمصطلحات العنوان:

يجب الوقوف أولا عند الإطار المفاهيمي المشكل لمصطلحات العنوان، وتحديد المفاهيم ومجال الدراسة وحدوده:

1. العلوم العرفانية:

إن العلوم اليوم في حاجة إلى الخروج من شرنقة التخصص إلى ميدان التشارك والتعاون وتظافر الجهود لمحاولة حل مشكلات بحثية تتشاركها تخصصات متعددة .وهذا ماولد حديثا

مايعرف بالدراسات البينية ،وهو منهج يفتح الباب أمام العلوم المتخصصة لاقتراح أبعاض الحلول للمشكلة العلمية ،مشكلة رؤية متكاملة للحل من زوايا متعددة.

ومن الدراسات البينية التي تجسد هذا المبدأ العلوم المعرفية أو العرفانية، وهو ميدان بحث جديد موضوعه الذهن بمختلف نشاطاته ، تتشاركه تخصصات أكاديمية متعددة كعلم الأعصاب وعلم الحاسوب وعل م النفس المعرفي والأنتروبولوجيا والذكاء الاصطناعي واللسانيات العرفانية ،فيسعى إلى الإجابة عن أسئلة من قبيل ماهو العقل؟ وكيف نعطي معنى لتجاربنا وماهو النسق التصوري وكيف يتم تنظيمه؟ وهل يستعمل جميع البشر النظام المفهومي نفسه؟وإن كان الأمر كذلك فماهو هذا النظام ؟ وإن لم يكن ،ماهو بالتحديد ذاك الشيء المشترك بين البشر جميعهم فيما به يفكرون ؟ فالأسئلة ليست جديدة ولكن بعض الأجوبة جديدة. [1]

تتظافر مجموعة من العلوم لدراسة العرفنة من حيث طبيعتها واشتغالها ووظيفتها ،وقد تم تصور العرفنة في إطار طورين أولهما الإطار الحوسبي في سنوات 1970 على أساس معالجة المعلومات في الدماغ، فتشتغل العرفنة اشتغال الحاسوب حيث تشفر المعلومات في شكل تمثيلي رمزي يشبه الخوارزميات في لغة البرمجيات الحاسوبية ،فيقسر اشتغال الذهن بآلة تجريدية تعالج الرموز كما يعالجها الحاسوب .[2]

ـ التصور العرفني في الطور الترابطي سنوات 1980م: خلال هذه المرحلة اتضح قصور اختزال العرفنة البشرية والإحاطة بها ماهية واشتغالا وفعلا على منوال الحاسوب ومطابقة

---

[1] **الاستعارات التي نحيا بها**، جورج لايكوف ومارك جونسن، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، 2009، ط 2، في المقدمة.

[2] ينظر: نظريات لسانية عرفانية : الأزهر الزناد. منشورات الاختلاف الجزائر،ط1، 2010،ص14.

الذكاء البشري بالذكاء الاصطناعي، فلم يكن من بد إلى التوجه إلى الدماغ،واستحالة تصور العرفنة بعيدا عن نشاطاته.

فيكون الإنسان في ضوء هذا التصور كائنا معرفنا ،والعرفنة هي وظيفة الدماغ في ضمان الحياة للكائن الحي المعرفي في بيئته.فاتسعت بذلك لتشمل إلى جانب الدماغ المحيط والجسد حالا فيه "فهو الملكة التي بها تتفاعل الذات مع محيطها تفاعلا عاقلا ذكيا "[3] ومنه نطرح تساؤلات عديدة عن تفاعل الذات مع محيطها تفاعلا يميل إلى احتواء العالم بواسطة تمثله وتخزينه في دماغه على شكل معلومات أو يمكن القول هي عمليات عصبية متوازية ،كما أقر ذلك علماء الأعصاب العرفانيين في سنوات 1970م،فيما اصطلحوا عليه: المعالجة المتوازية الموزعة PARALLEL DISTRIBUTED PROCESSING والتي قوامها أن العمليات العرفانية متوازية متسلسلة،وأن العمليات العصبية التي تصاحبها موزعة ممتدة على القشرة الدماغية ولا تنحصر في موقع واحد بعينه فتتشكل في عقد مترابطة (ماك للاند ورملهارت 1986).

وعليه فالكائن المعرفن هو كائن ذكي قادر على تقسيم العالم المعقد الذي يعيش فيه إلى عناصر صغرى لتكون مدخلات عن طريق الموارد الحسية فيخزنها ويبوبها فينظم العالم في دماغه انطلاقا من معطيات موجودة بشكل قبلي في عالمه الخارجي في شكل أطر FRAMS تضمن نسقية الموضوعات والأحداث.[4] فالدماغ يخزن هذه المدخلات في شكل حقول دلالية ذات علاقات مفاهيمية متشابكة ،يستدعيها عند الحاجة إليها في استعمال مباشر لها أو استثمارها وسيلة لتمثل الموضوعات والانفعالات والأحداث والمجردات

---

[3] المرجع نفسه: 33.35

1. [4] ينظر : **بنيات المشابهة في اللغة العربية –مقاربة معرفية:** عبد الاله سليم. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2001، التقديم.

بالنظر إلى درجة مشابهتها لأنماط نموذجية PROTO TYPES تعتبر ممثلة بدرجات عالية للمقولات.

2. اللسانيات العرفانية:

تعد اللسانيات المعرفية واحدا من العلوم المعرفية التي تنتمي لعلم أكبر هو العلوم العرفانية، ففي طريق اللسانيات في بحثها عن اللغة وضبط مفهوم لها لم تجد من بد إلا في ربطها بالدماغ ،بعد قصور النظريات السابقة في فك أسرار اللغة وتعقيداتها.

ظهرت اللسانيات العرفانية رسميا في ألمانيا سنة 1989م في ألمانيا حين تم الإعلان عن مؤتمر علمي أقامته جمعية اللسانيات الإدراكية (العرفانية) وصارت من حينها اتجاها لسانيا منفصلا إلا أنها تأسست على أفكار الأمريكيين جورج لايكوف ورولاند لانقر وراي جاكوندوف.[5]

هي لسانيات أهم مبادئها نقد اللسانيات الشكلية، والتشكيك في قدرة التحليل الصوري على إدراك طبيعة اللغة ووظيفتها، إذن فهو مصطلح يطلق على مجمموعة من التيارات والنظريات يجمعها عامل مشترك وأساسي هو المكون الذهني أو الإدراكي أو العرفني، ولكنها مختلفة في بنائها ومشاغلها وتوجهاتها ومجالات العناية بها، وتنقسم هذه الاتجاهات إلى اتجاهين كبيرين الأنحاء العرفنية والنحو التوليدي في نموذجه الأدنوي.[6] ويمكن إجمالها في الاستعارة التصورية والمزج التصوري والدلالة العرفانية والنحو العرفاني والسيمياء العرفانية والمجاز.

3. المفهوم العرفاني للغة:

لقد أعطت اللسانيات العرفانية تصورا آخر للغة يتجاوز نظام العلامات والسعي في فهمه إلى

---

[5] اللسانيات الإدراكية : زينايدابوبوفا.ويوسف ستيرنين.تر:تحسين رزاق عزيز.دار ومكتبة عدنان،ط1، 2015.

.ص14

[6] ينظر: نظريات لسانية عرفانية، ص27

دراسة هذا النظام في ذاته ولأجل ذاته إلى فتح الباب واسعا أمام كل العلوم والأدوات لفهم كنهها. فكانت اللغة لا تنفصل عندهم عن الخبرة الإنسانية التي تشكلها التجربة والتي تؤثر في الطريقة التي ندرك بها الأشياء ونصوغ بها مفاهيمنا المختلفة. والتعبير عن الأشياء والمفاهيم، وهو بعد لغوي، يتأثر، بلا شك، بكيفية إدراكها. فاللغة ليست مستقلة أو مغلقة على ذاتها ولا يمكن وصف نظامها الداخلي وصوغ قواعده وقوانينه بمعزل عن البنية التصورية أو المعرفية التي تؤسس لمبادئ عامة في الخبرة البشرية تؤثر مباشرة في بنية المبادئ اللغوية المختلفة.

في ضوء هذه العلاقة الثلاثية بين اللغة والجسد والذهن تشكلت نظرة جديدة للاستعارة

عبر عنها كل من لايكوف وجونس بالاستعارات التي نحيا بها ،فهي تشكل جزءا مهما من نشاطنا الفكري اليومي وبذلك تبنين تصوراتنا وتجاربنا وتعطيها معنى ، مشكلة "نقلة نوعية في تاريخ الفكر الإنساني بشكل عام،والعلوم المعرفية واللسانية بشكل خاص،ويمكن أن نحدد مظهر هذه النقلة في الثورة على المنظور الموضوعي لعملية المقولة CATEGORIZATION أي تنظيم العالم وتصنيف أشيائه ووضعياته وأحداثه."[7]

ونقصد بالذهن مجموعة الوظائف الدماغية المعالجة للمعلومات على صورة طبيعية. هذه المعلومات التي تتمثل في المدخلات اليومية التي يعيشها الإنسان في شكل تجارب حياتية يستخدم فيها كل حواسه ـ الجسد ـ، فيخزنها الدماغ مجتمعة لا انفصال بينها ويقوم بمعالجتها لتتجسد في شكل استعاري، فتفكيرنا إذن استعاري، "[8]

4. الاستعارة التصورية:

---

[7] **الاستعارات التي تقتل:** جورج لايكوف. تر: عبد المجيد جحفة وعبد الاله سليم. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء. ص7.

[8] الاستعارات التي نحيا بها، ص12.

تمثل الاستعارة التصورية واحدا من القضايا اللسانية العرفانية ،والتي نظر لها كل من لايكوف وخونس في كتابهما الاستعارات التي نحيا بها ،وطبقا لها في خطابات كثيرة ،نال الخطاب السياسي حصة الأسد فيها تمثيلا وتطبيقا وتحليلا، في ضوء القراءة العرفانية.

الاستعارة قبل اللسانيات العرفانية:

نالت البلاغة عناية المفكرين من أرسطو إلى يومنا هذا، ووقف اللغويون عند الاستعارة تنظيرا وتطبيقا وتنوعت نظرتهم إليها تنوع خلفياتهم ومنطلقاتهم ،وفي غالبها كانت تجعل الاستعارة نقلا بين لفظين ولا تخرج في غايتها من باب التجميل والتزيين إلا إلى دائرة التأكيد فتكون بذلك ـ الاستعارة ـ خارجية إضافية يلبسها المتكلم للفكرة بعد نضجها واستوائها في ذهنه لغاية ويمكنه الاستغناء عنها إن شاء ذلك. وفق هذه الترسيمة:

نفكر +قالب تركيبي + مجاز (اختياري)

رافق هذا التفكير الاستعارة إلى أن تلقفها العرفانيون مؤكدين أننا نفكر بالاستعارة وأن الترسيمة الفعلية للاستعارة الحاصلة في أذهاننا هي:

نفكر بالمجاز

يستبعد المنظور العرفاني المفهوم الشكلي المصور للاستعارة، لتصبح الاستعارة قائمة على التجربة والتفاعل بين القدرات الذهنية والحسية بعدها جزءا هاما من تجاربنا وسلوكاتنا وانفعالاتنا اليومية ، فتصبح الاستعارة حقيقة مستمدة من نسقنا التصوري وليست تعابير مشتقة من حقائق أصيلة، فالنسق التصوري العادي الذي يسير تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعارية بالأساس."[9]

وبذلك يكون تفكيرنا كله استعاري ،وأننا دائما نقيس مالانعرف على مانعرف ونتمثله في أذهاننا بصورة أخرى في وجود روابط يحددها الذهن، فتمكننا الاستعارة من اختزال العالم كله

[9] المصدر نفسه، ص21.

وحصره بشكل ذري منظم في أذهاننا نتواصل بها يوميا بوعي أو دون وعي.

وارتباط البحث الاستعاري عند لايكوف وجونسون –ومن ذهب مذهبهم–، بالخطاب السياسي، لا يعني جعله حكرا عليه، فيقول البوعمراني:"إن الخطاب السياسي خطاب مثخن بالاستعارة– أو هو ترسانة استعارية كما وصفه لايكوف – لكن الاستعارة ليست حكرا على الخطاب السياسي فحسب، فالاستعارة حسب العرفانيين هي ليست لباسا نختاره لنحلي به خطاباتنا ولكنه طريقة فهمنا للعالم، هي خلاصة تلك العلاقة الجامعة بين كل المدخلات اليومية الجديدة والقديمة، لذلك فنحن نفكر بها ولا نختارها هي حتمية في كل خطاباتنا مهما تنوعت تصنيفاتها المنهجية، ربما يكمن الاختلاف في مدى جذب الاستعارة لآذان ووعي المتلقي، بين قديمة مستهلكة أصبحت لا يلاحظ عليها أنها استعيرت من حقل إلى آخر أو حسب اصطلاح العرفانيين من مجال مصدر إلى مجال هدف، وبين استعارة تولد فعل الانبهار لدى المتلقي..ولا يقل الخطاب التعليمي أهمية عن الخطاب التعليمي ،بل يحمل من الأهمية والخطورة الشيئ الكبير للقوة التأثيرية التي يحملها ذات اتجاه شاقولي من مخاطب يحمل صفات مميزة وسلطة توجيهية ومكانة عليا عند المتلقي وعند المجتمع.ربما تفوق سلطة السياسي.

5. الخطاب التعليمي:

الخطاب:جاء في لسان العرب في مادة (خ،ط،ب)هي:" الشأن أو الأمر عظم أو صغر ...فتقول ماخطبك أو ماأمرك؟ ومنه قولنا خطب المرأة يخطبها خطبا وخطبة بالكسر ،تزوجها ..."[10] وورد في مقاييس اللغة " الكلام المتبادل بين اثنين، يقال خاطبه يخاطبه خطابا: والخطبة من جنس الخطاب لافرق،وفي النكاح الطلب أن يزوج قال تعالى:{لا جناح

[10]لسان العرب: ابن منظور. دار صادر للطباعة والنشر،بيروت،لبنان ،ط1،مج2، 1997، مادة (خ،ط،ب).

عليكم فيما عرضتم به من خطبة النكاح} والخطبة الكلام المخطوب به والخطب الأمر ،وإنما سمي بذلك لما يقع فيه من التخاطب والمراجعة."[11]

الخطاب اصطلاحا: لقي مصطلح الخطاب عناية واسعة عند الأصوليين ومن أشمل التعريفات وأوجزها ماقدمه علي بن محمد الآمدي :"الخطاب هو اللَّفظ المتواضع عليه المقصـود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"[12] فالخطاب بهذا المفهوم يستلزم حضور المتكلم المجهز لألفاظه وتراكيبه بما يحقق به الإفهام عند المتلقي الذي يشترط فيه الجاهزية للتلقي.وبعبارة أخرى فالواضع للخطاب يستحضر المخاطب في ذهنه متصورا احتياجاته وظروف التلقي وحيثياته والبنى التصورية المشكلة لتفكيره بغية تحقق الإفهام،وغاية الإفهام الأولى هي الإقناع وتوجيه تصورات المتلقي كما يريد لها المتكلم.

ويحيلنا هذا المفهوم أيضا إلى حتمية العلاقة بين المتكلم والمتلقي،مما يحمل المتكلم مسؤولية بناء استراتجيات خطابه بما يحقق الإفهام ،ويوائم مدركات المتلقي واستعداداته .

الخطاب والنص:

قدمت الدراسات اللسانية مفاهيم متعددة للخطاب تناسب توجهاتها وخلفياتها الفكرية وأدواتها الإجرائية ،وراجت دراسات كثيرة تحاول التمييز بين الخطاب والنص ، غالبا ما يوصف فيها الخطاب بالحيوية والتداولية ويوصف النص فيها بالجمود والانغلاق،وقد حصر بول ريكور الفارق بينهما في قناة النقل بين الملقي والمتلقي فإذا كانت شفوية فهي خطاب وإذا كانت مكتوبة فهي نص فيقول: "النص :كل خطاب تم تثبيته بواسطة الكتابة"[13] . في المقابل نجد رؤى كثيرة تتجاوز هذه التفرقة الشكلية كالطرح الذي تبنته الدكتورة خلود

---

[11]معجم مقاييس اللغة:أبو الحسين أحمد بن فارس ين زكرياء.تح:إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية،لبنان،ط12،2001،ص304.

[12] علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ط)، 1980م، ص136

[13]نظرية تأويل الخطاب وفائض المعنى:بول ريكور .المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب،ط2،2006،ص57.

العموش مبينة أن ليس كل خطاب نصا وإن كان كل نص بالضرورة خطابا،فالكلام المتصل خطاب ،ولكنه لا يكون نصا إلا إذا اكتمل ببداية ونهاية،وعبر عن موضوعه ببناء متماسك منسجم"[14] ومع تعدد هذه الرؤى المتباينة تباين المنطلقات حول مفاهيم اللغة والكلام واللسان، فإننا يمكن أن نقدم تصورا حول مايتبادر إلى الذهن في الفاصل بين مصطلحي النص والخطاب؛ هو لحظة إنتاجه فالنص إجراء داخلي يقصي السياق الخارجي لكن الخطاب إجراء خارجي تداولي يعتبر السياق أهم إجراءاته.وهذا ما أوجزه جون ميشال آدم في:

الخطاب= النص+السياق

النص=الخطاب– السياق

فتحيلنا هاتين المعادلتين من جديد إلى مفهوم الخطاب عند الآمدي حين حدد الواضع والموضوع والمتلقي وشروط التلقي،فربط مفهوم الخطاب بالسياق .

الخطاب التعليمي من وجهة نظر تعليمية:"هو كل ما ينتجه الديداكتيكي من ملفوظات شفهية أو مكتوبة، له خصائص ومميزات من بينها كونه تفاعلي وإرشادي"[15]

إذن فالخطاب التعليمي ليس مرادفا للمادة التعليمية وإنما هو الخطاب الذي يصاحب العملية التعليمية التربوية ويمرر من خلاله الرؤية التي يرومها مؤسسو الخطاب وأصحاب الرؤية.وغايته التثبيت والتمكين للقضايا التشريعية والتأسيس لعقيدة سليمة وتوجيه الشباب نحو العلم وإعمال العقل بعدهما منهجا قرآنيا يتوسل بهما المسلم الجنة وليس العلم والعمل مطلبا دنيويا كما هو منحور في أذهان الجزائريين في تلك المرحلة.

---

[14] الخطاب القرآني . دراسة في العلاقة بين النص والسياق . : خلود العموش،عالم الكتب الحديث، عمان،ط2008،1..ص24.

[15] صالح بالعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومه، الجزائر، ط3، 2000م، ص77-78.

ثانيا: التحليل الاستعاري للخطاب التعليمي الباديسي:

إن اختلاف الاستعارة الكلاسيكية والاستعارة التصورية من حيث المفهوم ينسحب على آلية التحليل ،فإذا كانت الاستعارة الكلاسيكية تمثل مقابلة المعنى الحرفي بالمعنى المجازي محاولين الوقوف على بلاغتها .فإن التحليل الاستعاري عند لايكوف أساسه الإسقاط بين المجالات ، بواسطة تعميمات استعارية تمكننا من الانتقال من مجال مصدر إلى مجال الهدف وإسقاط الأبعاد الفضائية على قطاعات غير فضائية.

1.الطبقات الاستعارية الكبرى:

صنف لايكوف وجونس الاستعارات إلى استعارات تصورية بنوية واستعارات اتجاهية واستعارات وجودية ،مع التأكيد أن هذه الأنساق الاستعارية الكبرى لا تشتغل بشكل منعزل بل إنها تتفاعل فيما بينها.

- **الاستعارة البنوية:** هي آلية استدلالية نتوسل بها لفهم مجال بمجال آخر أكثر بنينة وتجذرا في نسقنا التجريبي الثقافي.[16]هي أن يبنين تصور ما استعاريا بواسطة تصور آخر. ومثال ذلك فهم المناظرات بتصور الجدال–حرب، ويعكس هذه الاستعارة في لغتنا اليومية عدد كبير من التعابير:[17] لقد هاجم كل نقاط القوة في استدلالاتي، لم أنتصر عليه يوما في الجدال.

- الاستعارة الاتجاهية ودلالاتها:

يقصد بها نسق كامل من التصورات المتعالقة ذات التوجه الفضائي القائمة على تجربة الفرد الفيزيائية والثقافية. فالاستعارة على ضوء هذا النمط تنتظم في إطار توجه فضائي من قبيل: عال، مستفل، داخل، خارج، أمام، وراء، فوق، تحت، عميق، سطحي، مركزي، هامشي. إلا أن هذا التوجه الفضائي الناظم لهذا النوع من الفهم الاستعاري، ينضبط لقواعد تجريبية وثقافية تمنحه الانسجام والقصدية، وتنأى به عن مجال التنافر والاعتباطية. ولهذا فقولنا

---

[16] نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية:عبد العزيز الحويدق.كنوز المعرفة،عمان،ط1، 2015 ص269.

[17] الاستعارات التي نحيا بها، لايكوف وجونسون، ص22.

السعادة فوق هو الذي يبرر قولنا: "أحس أنني في القمة اليوم. وهو الذي يضفي على مبدإ الاستعلاء قيمة السعادة والفرح على سبيل التعميم داخل نسق ثقافي معين لا يتصور فيه أن تكون عبارة من قبيل "ارتفعت معنوياتيّ أني حزين"

ـ الاستعارات الأنطولوجية (التشخيص):

هي تلك الاستعارات التي نخصص فيها الشيء الفزيائي كما لو كان شخصا، وهذه الاستعارات تسمح لنا بفهم عدد كبير ومتنوع من التجارب المتعلقة بالكيانات غير البشرية عن طريق الحوافز والخصائص والأنشطة البشرية."[18] فهي مقولات نؤثث وننظم بها تجربتنا الفيزيائية، ونحدد به مظاهر تجربتنا الشعورية استجابة لحاجات متنوعة ومختلفة. فهذا النمط من الاستعارات، يمنحنا وسائل ننظر بها إلى الأحداث والإحساسات والأنشطة والأفكار... باعتبارها كيانات ومواد.[19] فالمتكلم يفيء أحيانا إلى التشخيص والتبعيض لإنارة جوانب من التجربة الشعورية أو الفيزيائية، فيسقط خصائص بشرية على كيانات غير بشرية، مثل:" صرعنا التخضم" "خدعتنا أسهم البورصة".

2. مركزية النسق الاستعاري:

إنّ تجربتنا الجسدية والاجتماعية وطريقة استخدامنا لآليات الخيال تبدو، ضمن هذه الرؤية محورية في طريقة بناء المقولات من أجل إنتاج المعنى.[20] " فمركزية الاستعارة في النظرية الدلالية العرفانية يعود أساسا إلى مركزيتها في إدراك المعنى وفهم الإنسان لنفسه وتمثله الوجود من حوله، وبناء أنساقه الرمزية والدينية والفنية والاجتماعية وغيرها، بل ومركزيتها في التفكير البشري، فهي ليست موضوعا للتفكير فحسب بل هي أداته وآلته، وهذا ما جعلها تلعب

---

[18] الاستعارات التي نحيا بها، ص21.

[19] دينامية الخيال – مفاهيم وآليات الاشتغال – عبد الباسط لكراري. منشورات اتحاد كتاب المغرب، 2004، ط1، ص410.

[20] إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين: مختارات معربة بإشراف عز الدين مجدوب. المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون"بيت الحكمة"، 2012، دط، ج1، 317

دورا أساسيا في بناء الخطابات الثقافية المختلفة التي ينتجها الإنسان."[21]

ويسطر لايكوف مبدأ عاما يحكم الإسقاط؛حيث تستعمل المقولات العليا في الإسقاط المفهومي مابين المجالات فيضمن إسقاطا أكثر ثراء من المجال المصدر علي المجال الهدف.

ومبدأ الثبات : فيحافظ الإسقاط على الأبعاد الطوبولوجية الأساس في الاستعارة إسقاط البنية الخطاطية في المجال المصدر على البنية الخطاطية في المجال الهدف بوجه يضمن التناسب بين مكونات الخطاطتين واحدا بواحد ويحافظ على التناسبات الثابتة بينهما، ومنه يعد مبدأ الثبات تقييدا لعملية الإسقاط. والغلبة في الإسقاط تكون دائما للمجال الهدف.[22]

يظهر أيضا مصطلح سلمية الإرث في تفاصيل الإسقاط الاستعاري، وهي عند لايكوف ثلاثية المستويات أعلاها الأكثر انتشارا وأدناها الأقل. ومثل لها المستويات :

المستوى الأول :استعارة البنية الحدثية

المستوى الثاني:الحياة رحلة

المستوى الثالث: الحب رحلة، المهنة رحلة .

حيث تقوم استعارة البنية الحدثية على خطاطة من التناسبات الثابتة بين مجال (الفضاء المكان) ومجال الأحداث (الأعمال والحركات)

وفي تصورنا للحياة قائمة على غاية ورّث ذلك إسقاطا استعاريا مابين مجال الحياة ومجال البنية الحدثية، يمتاز بمبدإ الثبات ويحافظ على الإسقاط الطوبولوجي.

وفي هذه الرحلة يعيش الإنسان تجارب مالحب والصداقة والعلم والعمل فيورَّث المستوى الثالث من المستوى الثاني، فينشأ إسقاط استعاري جديد، الحب رحلة ....

3. الاستعارة الكبرى في الخطاب التعليمي الباديسي:

الاستعارة الكبرى الحاضرة في الخطاب الباديسي والتي يمرر الفكر الباديسي في نسقها هي **استعارة الحياة رحلة**، فنجدها في عبارات من قبيل

- سبيل الحق
- قطعنا الطريق على كل متقول بالباطل

---

[21] الاستعارات التصورية وتحليل الخطاب السياسي، ص13.

[22] ينظر:الستعارات التي نحيا بها ،ص92، وزناد ص146-147.

- حافظ على عقلك فهو النور الإلهي الذي منحته لتهتدي به إلى طريق السعادة في حياتك.

فالإنسان يعيش في حياته تجارب كثيرة من قبيل الصداقة والحب والعلم والعمل ... فتورث هذه الاستعارة الكبرى استعارات صغرى وفق مبدإ سلمية الإرث ، أبعادا تعمم من المجال المصدر الرحلة على المجال الهدف الحياة.

فالرحلة في حاجة إلى زاد ،وهي في حاجة إلى مرشد في الطريق، وفي الرحلة يحتمل بلوغ المرتحل هدفه كما يحتمل أن يضيع طريقه، كل هذه التجارب التي نعيشها في الرحلة اليومية يمكن إسقاطها على الحياة.

ووفق مبدإ الثبات ومبدإ السلمية الإرثية ، ومبدإ التكامل الاستعاري ، نجد المرتحل في الخطاب التعليمي الباديسي ليس الإنسان ، إنما تتفاعل استعارة الأمة إنسان هذه الاستعارة الأنطولوجية مع الاستعارة البنوية الحياة رحلة. وهذا التصور؛ تصور قرآني وحديثي نتمثله في قوله صلى الله عليه وسلم :" مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد."، هذا التصور المتأصل في ذهن علماء الجمعية بالإضافة إلى تجاربهم الفعلية في الواقع الجزائري والإسلامي، فيعيشون واقعا استعماريا تصبح الأمة فيه إنسانا يصارع عدوا مشتركا.

هذه الأمة في رحلتها في الحياة نحو سبيل السعادة والنجاح ،وفي صراعها ضد المستعمر، نجد فيضا من الخطابات التعليمية ذات النسق التصوري المشترك والبناء الاستعاري المؤسس لذهن المعلم الجزائري، فنجد حضورا واسعا لاستعاريتي العلم ثورة والعلم ثروة ؛ استعارتان تبنينان تفكير علماء الجمعية وتسري في نسق تصوري دائم بين خطاباتهم.

ونمثل لهما ب:

العلم ثروة:

- العلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة
- الثروة التعليمية التي أحدثها ابن باديس ...
- كان يغذي أرواحهم الوثابة النقية
- ذاق حلاوة العلم
- زرع ابن باديس بذور العلم

في مقابل **العلم ثورة**:

- العلم سلاح
- يحارب لأجل بلوغ هدفه
- الإعداد البعيد المادي
- بقي مئات آلاف السنين في أنياب الجهل والفقر.

تتفاعل هذه الاستعارات (الحياة رحلة ، الأمة إنسان، العلم ثروة، العلم ثورة) فيما بينها مشكلة نسقا تصوريا مشتركا يفصح عن مدخلات المتلقي وآلياته في بناء استراتيجيات خطاباته ليؤثر في المتلقي ويقنعه ويوجه تفكيره نحو ما يريده المتكلم.

هذا التفاعل يمكن ترجمته انطلاقا من الاستعارة الكبرى وإسقاطاتها على الاستعارات الصغرى، فالأمة في حياتها نحو السعادة والبقاء والفلاح تطور نفسها بالعلم وتمتلك ثروة مادية وتستعد بأسلحتها لمحاربة أعدائها من الأمم الأخرى، كما بالضبط ينتقل الإنسان في رحلته اليومية من النقطة أ إلى النقطة ب حاملا زاده ومايحميه في طريقه ويوجهه .

استعارة الحياة بناء

مايميز النسق التصوري الباديسي عن النتائج التي قدمها لايكوف وجونس في كتابهما الاستعارات التي نحيا بها استعارة الحياة بناء ، هذا التصور الاستعاري يحيلنا إلى الفاعلية التي تميز بها علماء الجمعية في سعيهم نحو بلوغ الأهداف باتخاذ الأسباب ،فالحياة ليست رحلة فقط من النقطة أ إلى النقطة ب وإنما في الرحلة لابد من ترك الأثر بتحقيق ولو لبنة في سبيل بلوغ البناء المكتمل وهي الأمة الإسلامية المطبقة لأهم سبل الرشاد وهو اتباع مقاصد القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.إذن فالإنسان المسلم كما يتصوره ابن باديس في رحلة طويلة زاده وسلاحه العلم والعمل المستندان إلى الفهم الصحيح للقرآن الكريم والسنة النبوية، لتحقيق البناء في الدنيا والنجاة في الآخرة.

يمثل القرآن الكريم والفهم الصحيح للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أهم المدخلات المشكلة لذهن المعلم الجزائري ، يضاف لها التجربة اليومية لهؤلاء المعلمين العلماء وهي في غالبها مشتركة تجمع بين الحالة الاستعمارية والهجرة لطلب العلم ، فكان تفكيرهم يستمد استعاراته من هذه التجارب المترابطة بالذهن .

الخاتمة:

1. نحن نعيش في عالم استعاري، يستعير فيه المتكلم من ميدان يعرفه ويدركه –لأن الإنسان يقيس على ما يعرف– ليجسده في ميدان آخر، أما آلية اكتشاف الميدان المستعار فتكون بتتبع الكلمات لأن المتكلم المتزن له وحدة في تصوره، فالاستعارات أصبحت كاشفا عن البنية التصورية.
2. هناك نسق تصوريا مشترك يجمع بين أعلام جمعية العلماء المسلمين جميعا يظهر في استعاراتهم التصورية اليومية ومجالات اشتغالاتهم والحقول الدلالية المشكلة لخطاباتهم.
3. الاستعارات المبنينة للتصور الباديسي هي: (الحياة رحلة ، الأمة إنسان، العلم ثروة، العلم ثورة، الحياة بناء).

قائمة المصادر والمراجع:

1. **الاستعارات التي تقتل**: جورج لايكوف. تر: عبد المجيد جحفة وعبد الاله سليم. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء. 1980م،
2. **الاستعارات التي نحيا بها**، جورج لايكوف ومارك جونسن، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، 2009، ط 2، في المقدمة.
3. إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين: مختارات معربة بإشراف عز الدين مجدوب. المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون"بيت الحكمة"، 2012، دط..
4. **بنيات المشابهة في اللغة العربية –مقاربة معرفية**: عبد الاله سليم. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2001.
5. تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: عبد الحميد بن باديس.اعتنى به وخرج أحاديثه وآثاره أبو عبد الرحمن محمود. دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم، الجزائر،1432هـ-2011م، ط2.

6. الخطاب القرآني . دراسة في العلاقة بين النص والسياق . : خلود العموش،عالم الكتب الحديث، عمان،ط1،2008.
7. صالح بالعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومه، الجزائر، ط3، 2000م
8. دينامية الخيال – مفاهيم وآليات الاشتغال – عبد الباسط لكراري. منشورات اتحاد كتاب المغرب، 2004، ط1.
9. الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ط).
10. لسان العرب: ابن منظور. دار صادر للطباعة والنشر،بيروت،لبنان ،ط1،مج2، 1997، مادة (خ،ط،ب).
11. اللسانيات الإدراكية : زينايدابوبوفا.ويوسف ستيرنين.تر:تحسين رزاق عزيز.دار ومكتبة عدنان،ط1، 2015.
12. معجم مقاييس اللغة:أبو الحسين أحمد بن فارس ين زكرياء.تح:إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية،لبنان،ط1،2001،12،ص304.
13. نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية:عبد العزيز الحويدق.كنوز المعرفة،عمان،ط1، 2015
نظرية تأويل الخطاب وفائض المعنى:بول ريكور.المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب،ط2،2006،ص57.
14. نظريات لسانية عرفانية : الأزهر الزناد. منشورات الاختلاف الجزائر،ط1، 2010